الفصل الثالث

المرأة وشهر العسل

ماذا يحدث ليلة الزفاف؟

ليلة الزفاف

كل الفتيات يتحرقن شوقا إلى المعلومات التفصيلية لما يمكن أن يجرى فى هذه المناسبة، ولكن أغلبهن يُرسلن إلى بيت الزوجية دون تسليحهن بالحد الأدنى من المعلومات اللازمة عما هو مطلوب من العروس وما يمكن أن تتوقعه من العريس فى ليلة الزفاف، والعروس المسكينة قد تلتقط بعض شذرات عن الموضوع من هنا ومن هناك، ولكنها قد تذهب بيضاء الذهن تماما، والأمر الوحيد الذى يمكن أن تعرفه هو إصرار الأهل على التحضير الجسمانى للعروس من حيث إزالة الشعر الزائد قبل الزفاف، تلك العادة المصرية القديمة التى بدأت تهتز تأثرا بما هو متبع فى العالم، وفى بعض المجتمعات يضاف الخضاب بالحناء.

أما الإعداد النفسى بالمعلومات.. فلا شىء تقريبا من الأهل، ويتلقى أطباء أمراض النساء الأزواج الجدد بعديد من المشاكل

الناجمة عن نقص المعلومات مثل استمرار الزيجة عدة شهور دون أن يدرك الزوجان أن العملية الجنسية لم تتم أصلا ومثل خوف العروس من المجهول وتأثر قدرة العريس بصراخ العروس، وبالطبع لنا أن نتصور الوضع إذا أضيف سلوك العريس الغشيم إلى جهل العروس.

مشاكل غشاء البكارة

ولمرحلة ما بعد الزفاف أهمية خاصة عند وصول المرأة إلى طبيب أمراض النساء، وقد يكون هذا الوصول بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من الزفاف أو بعد عدة شهور لنفس المشاكل، وفى بلد مثل مصر، يكون الوصول المبكر إلى الطبيب بسبب مشاكل الدخلة، وأهمها ما يتصل بغشاء البكارة.

ويتكون الغشاء فى مرحلة الحياة داخل الرحمية، وبالتالى ينطبق عليه ما ينطبق على بقية الأعضاء والأنسجة فى الجسم البشرى من وجود شكل معتاد عند الأغلبية الساحقة من الفتيات، وعند نسبة ضئيلة تكون هناك أشكال شاذة لغشاء البكارة تتدرج من وجود غشاء سميك كامل يسد المهبل سدا تاما بحيث يمنع نزول دم الطمث نفسه منعا تاما إلى غشاء ذى فتحة واسعة وجوانب مطاطة قد لا تؤدى إلى نزول دم عند الجماع لأول مرة أو قد تكون الكمية لا تذكر. وهى الحالة التى يتقدم فيها الزوجان إلى الطبيب.

غشاء البكارة فى المجتمعات المختلفة والثقافة الغربية والجنس وقصة من الغرب

والواقع أن غشاء البكارة الرقيق لا يفصل بين داخل المهبل وخارجه فقط، ولكنه يفصل العالم كله إلى قسمين يتباينان غاية التباين فى التاريخ والفكر المتوارث والأوضاع الاجتماعية حتى لو تشابها فى المستوى العلمى والاقتصادى، فهناك المجتمعات التى لا تعارض بشدة أو لا تعارض أصلا مزاولة الجنس خارج نطاق الزواج بالنسبة للبالغين، وطبعا كان لابد وأن تتطور الأمور إلى أن يحدث علاقات جنسية بين من هم أصغر من ذلك، وقد أصبح هذا مصدر مشاكل كثيرة فى هذه المجتمعات ولكن حدوث هذه العلاقات أصبح معتادا فى هذه المجتمعات فى ظل مفهوم معين لحاجات الجسم الغريزية، وكرد فعل متطرف لربط الثقافة الغربية لشعور اللذة الجنسية بالشعور بالذنب على أساس أن الهدف من الاتصال الجنسى هو الإنجاب وهو الاعتقاد الذى استمر على مدى ١٥٠٠ سنة منذ انتشار المسيحية وكان رد الفعل هذا هو ما يسمى بالثورة الجنسية، وكان الاعتقاد هناك إلى وقت قريب أن تجاوب المرأة جنسيا لا يأتى إلا من العاهرات، ولقد تغيرت الأمور الآن تماما وأصبح الشاذ هو عدم ممارسة الجنس إذا أوغل الفرد فى مرحلة الشباب، وأذكر أنى كنت فى زيارة لصديق مصرى فى مدينة مانشستر بإنجلترا وحكى لى قصة حدثت فى مستشفاهم عن فتاة إنجليزية فى الثامنة والعشرين أصيبت فى حادث أدى إلى شرخ فى

عظام الحوض، وفوجئ الطبيب الذى فحصها بأن غشاء البكارة لا يزال سليما، فعرض الحالة على رئيسه الذى أرسل فى استدعاء شقيق المريضة، وحكى له الوضع، وأن هذا يستلزم أن تتردد أخته على طبيب نفسى لمعرفة السبب فى احتفاظها بغشاء البكارة حتى سن الثامنة والعشرين، وتدارك الأمر.

وبصفة عامة. لا يشكل غشاء البكارة عائقا يمنع الفحص المهبلى والعلاج فى هذه المجتمعات.

أما فى الجانب الآخر، فإن وجود غشاء البكارة سليما لم يمس بمعنى الشرف. ويعطى هذا الأمر أهمية قصوى لا يمكن التنازل عنها على جميع المستويات الاقتصادية والثقافية، ولكن التطوير الذى أصبح مقبولا هو أن يحيل الزوج الأمر - فى حالة وجود مشكلة - إلى طبيب أمراض النساء، حيث إن الأمر يستلزم خبرة معينة لإعطاء قرار سليم.

عدم الإدماء

وتختلف الطريقة التى يقدم بها الزوجان موضوع عدم الإدماء عند الدخول من زوج إلى آخر، فقد يذكر أحدهم المشكلة فى أول الكلام، وقد يقدمها آخر كأمر عرضى فى آخره، ولكنهم يتفقون جميعا فى الحذر من الاندفاع فى الاتهام الظالم إلا نادرا، وفى الواقع أن الاتهام المفتوح يعنى هدم سمعة الفتاة وأسرتها وتحطيم آمال الزوج

نفسه وضياع ماله ووقته، ومهما كان السبب فإن الزوج لا ينسى أبدا أنه لم يستمتع بالدم، كما أن الأنثى لا تستريح إلى ما يعنيه هذا.

تسليم بكارة الفتاة

وحتى وقت قريب كان يتم تسليم غشاء بكارة الفتاة على أيدى شهود، وهى عملية فجة لا تزال تمارس فى المجتمعات البدوية وبعض الأوساط الريفية وشبه الريفية حتى اليوم، وفى الختان المسمى بالسودانى الذى يمارس بصفة خاصة فى أقصى جنوب مصر وفى السودان يغطى الغشاء بسياج خارجى قوى بلحام الشفرين الكبيرين، فإذا علمنا القسوة والوحشية التى تتم بها طريقة الختان هذه لأدركنا أنه يجب أن تتوقف نهائيا لما تسببه من تشويه شديد فضلا عن المساوئ الأخرى.

فض غشاء البكارة

وفى محاضرات التأهيل للزواج والثقافة الجنسية كنت دائما أحذر الفتيات المقبلات على الزواج من السماح للزوج بفض غشاء البكارة بالإصبع حتى لو استلزم الأمر تأجيل فض غشاء البكارة أياما أو أسابيع، ذلك أن فض الغشاء بهذه الطريقة غير الطبيعية يضعف قضية الزوجة الصغيرة إذا ما تبين بعد ذلك عدم مقدرة الزوج على القيام بواجباته الزوجية، ويحضرنى فى ذلك المجال قصص كثيرة

تسرع فيها أطباء بفتح غشاء البكارة قبل التأكد من مقدرة الزوج مع كل ما يحمله هذا من مسئوليات مستقبلية.

وأود أن أشير هنا إلى أنه لم تذكر لى زوجة واحدة أن عملية فض غشاء البكارة نفسها كانت مؤلمة إذا لم يصاحبها خوف وذلك بالرغم من أن كمية الإدماء كانت متفاوتة؛ وفى حالات نادرة يستقبل الأطباء والمستشفيات حالات كان عدم دراية الزوج وسوء تعاون الزوجة سببا فى هتك الأنسجة الداخلية للمهبل مما يستلزم إجراءات جراحية دقيقة ونقل دم أحيانا، والعجيب أن بعض هذه الحالات كانت تكتشف فى اليوم التالى.

سلامة غشاء البكارة

ونادرا ما يتهتك غشاء البكارة بغير عملية الجماع الذى تتعاون فيه الأنثى التى فى سن الشباب، وذلك لأن غشاء البكارة يبتعد عن السطح الخارجى للفرج بمسافة قد تصل إلى خمس سنتيمترات، ومع ذلك فمن الأفضل الاطمئنان إلى سلامة غشاء البكارة عقب حدوث إصابات فى منطقة الفرج.

ولكن الاطمئنان إلى سلامة غشاء البكارة يستلزم خبرة طويلة فى ذلك المجال، وقد وجدت أن كثيرا من الفتيات يتملكهن وهم كبير بأنهن لسن عذارى بسبب الفوط الصحية أو الرياضة أو بسبب ولوج طرف الأصبع فى مدخل المهبل - وهى الفتحة التى تسمح بنزول دم

الطمث الشهرى، وقد يكون الخوف بدون سبب تماما، وتصبح الرغبة فى الاطمئنان على غشاء البكارة سببا فيما يشبه الهوس عند بعض الفتيات.

حرج العرسان

وكان المعتاد إلى وقت قريب أيضا أن تذهب أم العروس لزيارتها فى اليوم التالى للزفاف مباشرة للاطمئنان على سير الأمور، ولا بأس من أن تأخذ معها بعض الطعام للتمويه، ولكن الذى لاحظته أن الزوجين الجديدين يتهربان من تلك الزيارة التى أصبح معتادا تأجيلها إلى يوم السبوع؛ ذلك أنها كانت تمثل ضغطا عصبيا على الزوجين الجديدين، بينما يؤدى الإرهاق والتوتر الذى يصاحب يوم الزفاف وخاصة ما يمتد فى السهر كثيرا إلى تأجيل الدخول عدة أيام، ومن العرسان من قد يضطر إلى الكذب حتى يتيحا لنفسيهما مهلة أطول.

وبعض الأزواج قد يجدون مشقة فى تلك العملية بسبب الحنان الزائد على العروس وخشية الإيلام أو نتيجة للخوف والتوتر والقلق، وقد تشاركه العروس فى ذلك، ولكن العبء يقع أساسا على العريس فى التمهيد والتعامل الإنسانى، وعلى العروس أن تتعاون، ويفضل أن يكون الزوجان وحدهما فى المسكن وبعيدا عن الأهل، فإن ذلك يعد باعثا على الاطمئنان وأدعى للنجاح، وأذكر أن زوجا تحرج من

أن يطلب إلى أمه أن تترك البيت بمناسبة زفافه إلى بيت أحد إخوته عدة أيام رغم إلحاح عروسه عليه فى ذلك وأصابته عُنَّةٌ لم تذهب عنه إلا بعدما صرخ فى أمه طالبا منها مغادرة المسكن.

وبعض الفتيات يُصَبن باضطراب عصبى بعد الزواج بسبب المسئوليات الجديدة نحو الزوج والأهل والبيت، قد يؤدى إلى اضطراب أحوالهن الصحية واختلاف الطمث وقد يستمر هذا الاضطراب باستمرار التوتر.

العروس فى بيت الأهل

وفى الزيجات التى يضطر فيها العرسان الجدد إلى المعيشة مع الأسرة الكبيرة، أو عندما تصر الزوجة الصغيرة على كثرة الإقامة فى بيت أهلها فى المراحل الأولى للزواج تحدث مواقف محرجة، فهى كعروس تتحرك فى أرجاء البيت بقمصان نوم شفافة، وتتبادل مع زوجها حدا أدنى من المداعبات مما يحرج أهلها الذين اعتادوا التعامل معها فى ظروف مختلفة تماما لسنين طويلة خاصة إذا تواجد إخوتها من الذكور فى عنفوان الزواج الحديث، وأذكر أن أبا لعروس فى تلك الأوضاع كان يفقد أعصابه عدة مرات فى اليوم الواحد حيث شتتت تصرفات ابنته وعريسها أذهان إخوتها من الشبان، واضطر إلى طردها هى وزوجها مع كل ما صاحب ذلك من تضحيات.

سرير الزوجية

ومن المهم أن يرفع الأهل أيديهم عن الزوجين الحديثين، ومن ناحية أخرى يجب ألا يسمح الزوجان لأى طرف خارجى بالتدخل بينهما، إذ من الطبيعى أن تحدث مشاكل يومية لاختلاف طباع وعادات ووجهات نظر شخصين تربيا فى بيئتين مختلفتين، ولكن جميع هذه المشاكل تدفن فى سرير الزوجية، بعيدا عن المنطق أحيانا، أما إذا أحيط طرف آخر أو أكثر بما حدث من خلاف فإنه يظل متيقظا لحل منطقى حيث إنه ليس له مكان فى السرير المذكور، ولازلت أذكر أبا استوقفنى فى الطريق ليقسم لى أنه لن يزور أبدا ابنته المتزوجة حديثا فى مدينة أخرى، حيث إنها اتفقت معه فى الماء على أن يعودا معا إلى الإسكندرية بعد أن أهانها زوجها فى حضور والدها وذم فى أهلها، ثم فوجئ بها فى الصباح التالى تطلب إلى والدها أن يسافر وحيده، ونظرت أنا فى وجه الأب الثائر، وكان المسكين لا يبدو عليه أنه فهم شيئا.

آثار التجهيز الكامل على الزواج

ومن الملاحظ أن بعض الآباء والأمهات يقضون على طموح أبنائهم وبناتهم بتقديم مساعدات فى غاية السخاء عند الزواج، تمتد إلى أثاث وملابس وكماليات لا تترك للزوجين أحلاما يرجوان تحقيقها أو أشياء يتمنيان اقتناءها، فإن بعض الحرمان يشعل

نار الفكر، ويربط بين الزوجين، ويجعل بينهما موضوعات مشتركة لها صفة الآمال، أما كاملو التجهيز فلديهما الفراغ والاطمئنان مما قد يباعد بينهما بسبب البحث عن المشاكل والنزاع للاحتفاظ بعنصر الإثارة، بل وقد لا يمكنهما وحدهما المحافظة على المستوى الذى وجدا فيه نفسيهما، فيسعيان إلى الحصول على مساعدة الأهل مما يتيح لهؤلاء فرصة التدخل، فلا يستطيعان الإمساك بدفة حياتهما.

أهمية المسكن المنفصل

وفى أزمة الإسكان الحالية حيث يضطر الكثيرون إلى المعيشة مع الأهل وبالنظر إلى ما كنت ألمسه أحيانا من مشاكل غير هينة نتيجة لذلك الوضع كنت أشعر بأهمية إتاحة الفرصة للشباب فى بداية الحياة الزوجية ليسكن فى وحدات منفصلة مهما كانت صغيرة ولكنها توفر الاستقلال ذا الأهمية القصوى.

فرحة الزفاف

وقبل أن أختتم هذا الفصل أود أن أسجل أن لفرحة الزفاف وما يصاحبه أهمية بالغة بالنسبة للفتاة، ويجب على كل من يهمه الأمر ألا يفوت عليها فرحة الزفاف بفستان أبيض وطرحة؛ فهو أمر تحلم به مبكرا جدا منذ طفولتها، والحرمان منه أمر لا ينسى مهما مضت السنون.